ملحمة العشاق

إن صفحات التاريخ تسطر خلود أرواح الذين ضحوا بأنفسهم من أجل الحرية والقيم الانسانية، ومن أجل تراب الوطن المقدس. نجوم تصعد السماء لتنير درب الاجيال وتنحت بأيديها تمثال الحرية، والآن نريد التوقف عند صفحة من صفحات الخلود، عند قبلة الشمس على جبين الحرية، عند مسيرة الرفيقة بروين التي سطرت بدمها أروع آيات البطولة والشجاعة، تلك الفتاة السمراء التي تتوانى عن دخول سجل القداسة.

ولدت الرفيقة بروين من أسرة متوسطة الحال تراكمت فيها العادات والتقاليد العشائرية وتركت آثارها ولكنها كانت ذات ميول قومية، أرادت الرفيقة بروين أن تجسد في نفسها شخصية المرأة الكردية الحقيقية، فأخذت منذ نعومة أظافرها لنيل حريتها، كانت تجعل من ليلى قاسم والنساء اللواتي أثبتن أنفسهن في التاريخ مثالا لها وبدأت من الخطو الاولى، فقد كانت منذ البداية تبحث عن حرية الروح أولا لتنتقل بعدها الخطوات التي تتطلب الكثير من الشجاعة في هذا المجتمع الذي يتحلى بالتقاليد البالية، حيث بدأت برفض واقعها وتحدت الدولة وهي في المرحلة الاقطاعية، لانها كانت تريد الاحتفال بعيد النوروز ككل الاعياد وطالبت الدولة بمنح اجازة في هذا اليوم وكان هذا التمرد أول خطوة لها. بالرغم أن الظروف وتعليم المرأة كانت صعبة جدا إلا أنها نسفت هذه الظروف وأكملت تعليمها العالي كانت تقول:" أن التعليم هو سبيل المرأة لكي تتعرف على نفسها وتتخلص من عبوديتها". وعندما وصلت الى مشارف الانتهاء من دراستها أدركت الرفيقة بوعيها بأن العلم لا يمكن أن يكون إذا لم يصل الى طور الممارسة العلمية الفعالة، لذل بدأت بالنضال الثوري لتحقيق أهدافها.

كانت الرفيقة بروين مثالا للرفيقة المنفتحة المقبلة على الحياة بكل عزم واصرار، كانت شخصيتها تتصف بالمرونة ولطالما أحبت أن تطور شخصيتها أكثر لتصبح جديرة بشعبها ووطنها، المسالة الاساسية التي شغلت تفكيرها هو موضوع تحرر المرأة، هذا الموضوع كان بالنسبة لها الموضوع الشامل لكل صعوبات الشعب الكردي، لذلك كانت تغوص في أعماق التفكير وتشن الحرب ضد المرأة القديمة وكانت دائما تنادي برفاقها لغير جذري في نفسية المرأة وتعليمها وكيفية الانتصار على واقعها المرير.

لقد اشرقت شمس الحزب على قريتها ودخل الحزب حياتها وهي ما تزال في ربيع العمر ليجيب على أسلتها ويحقق لها رغبتها في اثبات نفسها، حيث كانت خير من مثلت المرأة

الحرة ذات الفكر القابل للتقدم والتطور وقد صقل الحزب والقائد أهدافها، ولكي تجد نفسها لائقة كرفيقة في الحزب بدأت برسم سطور شخصيتها الجدية المتسمة بالجرأة على تحطيم القيود عن طريق التثقيف القيود الذاتي الذي يجعلها تقوم بتحليل الواقع ووضع الحلول، كانت تقول دائما:" يجب علينا كحركة للمرأة أن لا ننقص شخصيتنا ونستصغر أنفسنا، بل يجب أن نفتخر بأنفسنا ونجعل العالم يعني ما معنى أن تقوم المرأة الكردية بصنع الحرية والسلام حيث يجب على المرأة أن تكون صاحبة موقف ومبدأ وذا شخصية حرة".

التحقت الرفيقة بروين بالثورة بعد ان استطاعت أن تقنع العائلة وأدركت بأنه لا سبيل إلا التمرد والثورة، رغم صعوبة هذا القرار في مجتمع ذو تقاليد قديمة، إلا أنها عزمت على الثورة ضد التقاليد وضد الاعداء صانعي هذه التقاليد. كان انضمامها هي وبعض الرفاق الى صفوف الكريلا كمنبه لهذا المجتمع من صمته العميق، وأرادت أن ترسم حياة الحرة بريشتها وألوانها، وقد كانت أمها بالنسبة لها وكانت صورة أمها لا تفارقها حتى وهي على قمم الجبال، وقد كتبت في إحدى رسائلها الى أمها:" أمي.. أعرفك تقدرين المواقف الوطنية القومية لذلك فأنا مطمئنة، أحتفل بعيدك، يا أماه...الورود تسأل عن لون ثوبك.. السنابل ترقص بذكر اسمك وأنا أقف فوق جبال الوطن أرمي وردة حمراء فوق صورتك التي في قلبي".وفي عيد الام تتذكر أمها بعيد عنها وقد وجدت من جبال واشجار الوطن مواساة هلا منها استمدت القوة فطبيعة كردستان كانت تعطيهم دروس البطولة والصمود، قالت في إحدى خطاباتها وهي تصف نهر دجلة:" إنه يمضي هادئا كهدوء الشيخ، بمنظره الخلاب يمد أبنائه بالقوة، والشمس تنير مسيرة الثوار الطويلة وتعطيهم الشجاعة، والطيور تغني على أشجار تنبت بدماء الشهداء فستظل وردا على قمم جبال الوطن تغني للأمل المشرق وأمل العشاق ولضحكته الاطفال.

كانت الرفيقة بروين تمثل الرفاقية الحقيقية، ظلت مخلصة لعهدها في المسير قدما على خطى الشهداء، وفي النهاية انضمت الى قافلتهم وأشرقت شمس جديدة في سماء الوطن، ففي يوم ربيعي كانت تترقص فيه الاشجار فرحة ورائحتها تملأ الكون، أرادت أن تفوق هذه الزهور جمالا وعطرا، لذلك قامت مع رفاقها بحملة تمشيطية في منطقة هزخ ايدل قاومت فيها بكل قوة الاعداء، وفي النهاية تمكن الفاشيون الحصول على الرفيقة بروين واعتقالها، وفي نيسان جاء نبأ استشهادها بين ظلمات سجن جزرة ليقف التاريخ لحظة صمت حائرا أمام بطولة الرفيقة بروين التي ابدت الشجاعة والاخلاص لدماء الشهداء ولم تتواني أو تستسلم لما كان الاعداء يمارسونه من تعذيب اللانساني عليها لتنطق بمعلومات هامة عن الرفاق فأبى لسانها أن ينطق، فحاول الاعداء جعل هذه الوردة تذبل نتيجة لمواقفها الجريئة التي كانت تؤثر

برفاقها في السجون وتصعد من مقاومتها، تفتحت زهرة في جبين الشمس في ذلك اليوم وهي تضم روحها الى أرواح الشهداء بعد أن تركت خلفها ميراثا للأجيال في المقاومة والصمود للوصول الى الحرية، خاطبت الاعداء قائلة:" لن أموت أبدا لأنني أمثل الحياة كلها وأنتم تمثلون الموت فروحي ستظل تحيا بين شعبي وسأظل أراعيكم بمواقفي وستأتي كثيرات من بعدي يشين على دربي".

هذه هي ملحمة بروين التي جعلت دمها الطاهر يختلط بتراب الوطن لتصوغ أغنية العشق الابدي وتهدينا الى طريق الحرية ومعنى العشق الحقيقي، ويعبر أخوها عن مشاعره وهو رفي على ذرى الجبال عندما تلقى نبأ استشهاد أخته ويقول:" لم أصدق نفسي عندما سمعت نبأ استشهادها استرجعت شريط ذكريات طفولتنا، كم تمنيت لقائها ثانية لكنها سبقتني لنيل شرف الشهادة، فاصبحت معلمتي ومرشدي في دروس الرفاقية الحقيقية والروح الثورية الاصرار والتصميم لنيل الحرية، لم تكن تقبل الخنوع منذ صغرها، لقد أثبتت نفسها في وجه الصعوبات التي مرت بها داخل السجن ولم تتوفه بأية كلمة وبذلك مثلت الحزب والقائد، وبعد تعذيب دام عشرة أيام في كل يوم كانت الرفيقة بروين تتحول الى جمرة لهب تحرق غرور الاعداء لذلك لم يتحملوا كل هذا من فتاة كردية.

فهي بتصعيدها لاصرارها كانت تعمل على تصعيد الحماس بين صفوف الرفاق المقاومين فيتحولوا الى كتلة عصيان في وجه الفاشية لذلك قاموا باخماد روحها ورموا جسدها الرقيق على قارعة الطريق، ولكن أقول لاعداء بانهم أخطاوا فعلتهم هذه وبدلا أن يقتلوا العصيان والتمرد في أعماق بروين قاموا باشعال وهج العصيان والتمرد في قلوبنا وقلوب الشعب.

بروين أختي ورفيقتي كانت صديقة لكل طفل وعاشقة الروح الطفولة، كنت ارى في شخصيتها النقاء والصفاء البطولي وقد عملت وناضلت بخصوصياتها فكسبت ثقة الحزب والقائد والشعب لقد تركت كلمات تدق كناقوس في آذاننا وكانت امنيتي الاخيرة أن اراها هنا بين صفوف الكريلا لاسلم عليها سلاما عسكريا سلام رفيق لرفيقته، ولكن القدر لم يترك لنا المجال بل قبض بيده روح بروين التي حولت عهدها وامنيتها الى أعلى درجات، وهي الشهادة وتركت بصماتها بين ثنايا التاريخ لتجعله يثني هامته لكل الشهداء. وأقسم بأنني لن أنساك وساكون وفيا ومخلصا لدمك الطاهر في نهاية المطاف أهدي وسلامي وتحياتي الثورية على عائلتي وعوائل الشهداء والقائد والشعب.

الاخ والرفيق زوهات انكيزك

صادر في مجلة صوت الحياة العدد 15 لعام 2002

الصفحة 59-61